الدرس الصوتي في كتاب "المختار في الجوامع"

للشيخ عبد الرّحمان الثعالبي

Phonetics lesson in the book "elmokhtar fi-Aljawamah" by Sheikh Abderrahmane Al-Thaalibi

د. سمرة عمر

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي (الجزائر)، samra.amor@univ-tebessa.dz

تاريخ الارسال 01/01/2023	تاريخ القبول.26/02/2023	تاريخ النشر.15/04/2023

الملخص		**Abstract**
يتناول هذا المقال موضوع الدرس الصوتي لدى الشيخ العلامة (عبد الرحمان الثعالبي)، من خلال كتابه (المختار في الجوامع)، الذي قدم فيه مباحث وقضايا صوتية عدة في سياق حديثة عن قراءة (نافع المدني) للقرآن الكريم. ويهدف هذا المقال إلى إبراز علم من علماء الجزائر وهو (الشيخ عبد الرحمان الثعالبي)، كما يسعى إلى تبيين مجهوداته في مجال اللغة والصوتيات العربية. وقد توصل في الأخير إلى أن كتاب (المختار في الجوامع) يكتنز موضوعات مرتبطة بالمجال الصوتي، ويمكن الاستفادة منه في البحث في المجال نفسه.		This article addresses the subject of the phonetics of Sheikh Al-(Abderrahmane Al-Thaalibi), through his book (elmokhtar fi-Aljawamah), in which he presented several phonetics investigations and issues in a recent context about the reading of the Quran (Nafa al-Madani). This article aims to highlight the one of Algerian scientists Sheikh (Abderrahmane Al-Thaalibi) and seeks to demonstrate his efforts in the field of Arabic language and phonetics. Finally, it was found that the book (elmokhtar fi-Aljawamah) hoards subjects associated with the phonetic field and can be used for research in the same field.

كلمات مفتاحية: علم اللغة؛ الصوتيات؛ المختار في الجوامع؛ الثعالبي؛ علماء الجزائر.		**Keywords**:linguistics; phonetics; elmokhtar fi-Aljawamah; Al-Thaalibi; Algerian scholars**.**

المؤلف المرسل: د. سمرة عمر، **الإيميل**: samra.amor@univ-tebessa.dz

1. مقدمة:

يعد الدرس الصوتي المادة الأولى في الدراسات اللسانية لأية لغة من اللغات البشرية، وتعد الدراسات الصوتية القديمة أصل العلوم اللغوية عند العرب، فقد احتضن المجال الصوتي القرآن الكريم بالدراسة تلاوة وأداء وتلوينا في الأساليب الصوتية المختلفة والقراءات المتعددة.

ويعد الشيخ (عبد الرحمان الثعالبي) من أبرز أعلام الجزائر، الذين لهم الفضل في وضع وإثراء العديد من الدروس والعلوم العربية، ومن أهمها الدرس الصوتي، الذي يتعالق لدية مع علم التجويد وقراءة القرآن الكريم. ويمكن ملاحظة ذلك في كتابه (المختار في الجوامع)، إذ تتطرق فيه إلى بعض المسائل الصوتية انطلاقا من معرفته بأحكام القراءة، وبخصائص الأصوات وصفاتها.. ويعد هذا إنجازا في حد ذاته يشهد لجهود الرجل وسعيه إلى خدمة القرآن الكريم، واللغة العربية وما يتعلق بعلومها الجامعة، فالثعالبي من علماء الجزائر الذين تميزوا بتفانيهم في خدمة العلم، إذ قاربت إنجازاته المئة مؤلف من ترجمات وكتب وشروح، ومصنفات تجمع بين اللغة والدين والتصوف والفلسفة، وتعكس ثقافته الموسوعية وعلمه الغزير، خاصة إذا ربطناه بعصره أين كان الجفاف والضعف في جميع مجالات الحياة. والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو: إذا كان الشيخ (عبد الرحمان الثعالبي) قد اشتهر بالدعوة والإصلاح، والتفرغ لشؤون العبادة والتقرب إلى الله، فإلى أي مدى يمكن الحديث عن درس الصوتيات لديه في ظل توجهاته هذه؟ وبماذا ارتبط هذا الدرس في كتابه (المختار في الجوامع)؟

ويهدف البحث من خلال ذلك إلى إبراز علم من علماء الجزائر المغيبين عن الدرس في مجال اللغة بصفة عامة، ومجال الصوتيات على وجه التحديد، وينتهج منهج التقصي التاريخي للتعريف بالثعالبي وتقديمه في نطاق البحث اللغوي، كون هذا الرجل اشتهر في مجال الدعوة والتصوف والإصلاح...إلخ، من خلال مصنفاته التي سيتم ذكر بعض منها، وكذا منهج الوصف والتحليل والمقارنة بين ما درسه (الثعالبي) في كتابه (المختار في الجوامع) وما أتى به الدس اللساني الحديث من مواضيع تخص الصوتيات.

2. عبد الرحمان الثعالبي (مولده ونسبه):

هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي، من كبار علماء الجزائر وصلحائها، وكنيته (الثعالبي) نسبة إلى قبيلة (الثعالبة)1، ولد سنة (785هـ/ الموافق لـ: 1384م) بضواحي منطقة (وادي يسر) حيث نشأ وتربى بها2، وقد اختلف في تاريخ ميلاده فمنهم من ذكر أنه ولد في سنة (1383)، ومنهم من أشار إلى أنه ولد سنة (1387)3.

وفي سنة 802هـ/1399م ارتحل إلى مدينة (بجاية) الجزائرية، طلبا للعلم حيث تتلمذ على يد شيوخها البارزين، وفي العام 809هـ/1406م توجه نحو (تونس) ليواصل مسيرته في طلب العلم، إذ مكث فيها فترة طويلة وأخذ عن علمائها، كما أقام بـ(مصر) عام (817هـ/1414م) وأفاد من علماءها، كما حل ببورصة بآسيا الصغرى، ثم الحجاز، حيث بقي سنتين بالمشرق، ثم عاد للجزائر عبر تونس العام (819هـ/1416م) 4. وتولى مشيخة الجزائر والقضاء فيها لكنه تخلى عنهما، مفضلا ممارسة التعليم، والإمامة فخطب بالجامع الأعظم بالجزائر. توفي –رحمه الله– بالجزائر في 23 رمضان875هـ/منتصف مارس 1471م5.

وقد اشتهر (عبد الرحمان الثعالبي) في القرن 9هـ/15م، وهو القرن الذي شاعت فيه أفكار التصوف بين جميع فئات المجتمع الجزائري، وكذلك فئات المجتمع المغاربي، وقد برز منهم العلماء والفقهاء، الذين كانوا أوفياء للأفكار الصوفية في عهد المرابطين6.

فما ميز القرن (الخامس عشر) حسب كتب التاريخ، بروز المتصوفين وعلماء التصوف بكثرة؛ وعلى رأسهم (عبد الرحمان الثعالبي) الذي جمع بين العلم والتصوف، فلاقى إعجابا واحتراما وسط الجزائريين وغير الجزائريين، وهذا نتيجة مكانته العلمية والخُلقية، والإضافة الروحية التي منحها حضوره إلى مدينة الجزائر7، خاصة وأن التصوف "علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة. وأصله أن طريقة القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين من بعدهم طريق الحق والهداية، وأصله العكوف على العبادات والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد على الخلق، والخلوة للعبادة. وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال

على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية"7.

وقد اشتهر (الثعالبي) في الجزائر وفي الخارج، وتناول حياته ومنجزاته وآثاره العديد من أبناء الجزائر ومن غيرهم، حيث تذكره كتب السير والتراجم، وتفصل العديد من الدراسات والأبحاث في ترجمة حياته وكل ما يتعلق به8.

وهذا نظرا للدور الفعال الذي قام به (الثعالبي) في عصر عرف بالضعف والانحطاط، إذ تعد إسهاماته في مجال الدفاع عن الإسلام وأرض المسلمين بارزة، ولها من الشأن في اتخاذها منهجا لمحاربة الظلم والمعتدين. فلم يمنع الانعزال والتصوف الرجل من سعيه بأفكاره الجهادية لحماية أرض المسلمين، لذا نجده في خطاباته يدعو أهل الجزائر للجهاد والاستعداد للحرب وتوفير ما يلزم من ذخيره لها. ومثال ذلك مراسلته سكان مدينة (بجاية) يحثهم على الاستعداد للحرب ومقاتلة الأعداء (الإسبان)، وحذر من مغبة التهاون في الجهاد9.

فالرجل يبدو متزنا في أفكاره موسوعيا في علمه، وجمعه بين العلم والتصوف والحكمة دليل على أخلاقه العالية، وسيرته الطيبة، فهو ممن توفرت فيهم المعرفة بالكتاب والسنة، وجمع بين العلم والعمل، والسعي لمعرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل والنظر والتفكير في خلقه، وهو التقي والورع والمتجرد عن الهوى وحب الدنيا الذي ابتعد عن السياسة، ورفض التعاون مع الظلمة10.

1.2 مؤلفات الثعالبي وآثاره:

لقد ترك الثعالبي حوالي تسعين مؤلفا تنوعت بين كتب اللغة والتاريخ والتراجم، وكتب الدين من تفسير وحديث وفقه وسيرة وتوحيد وذكر ووعظ...إلخ، وبين رسائل وشروح وحواشي وتعاليق...وغيرها11.

وتذكر كتب التاريخ أن (عبد الرحمان الثعالبي) قد ألف ما يقرب من الخمسة عشر مؤلفا في التوحيد والتفسير والفقه والمواعظ12. كما تنسب إليه كرامات ورسائل وإجازات، وأدعية وأذكار ومنامات13.

ومن أهم مؤلفاته نذكر الآتي14:

1- "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" طبع بالمطبعة الثعالبية في 1327هـ/1909م، وهو كتاب في التفسير.

2-كتاب "جامع الهمم في أخبار الأمم"، لعله كتاب الجامع المخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، رقم 3155، في التراجم.

3- "غنية الواجد وبغية الطالب الماجد"، وهو فهرست جمع فيه أسانيده ومشيخته. فقد كان الثعالبي من أبرز رواة الحديث، بل ومن مدرسيه، خاصة صحيح البخاري"، وهو كتاب في الحديث.

4- كتاب "رياض الأنس في علم الدقائق وسير أهل الحقائق". مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، رقم 2338.

5- كتاب "جامع الأمهات لأحكام العبادات". مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر، رقم 583.

6- "روضة الأنوار ونزهة الأخيار"، وصفه بأنه "قدر المدونة، فيه لباب نحو ستين من أمهات الدواوين المعتمدة، وهو خزانة كتب لمن حصله"، وهو كتاب في الفقه.

7- "الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة"، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، رقم 7125 " .

8- "رياض الصالحين"، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم 592 .

9- "كتاب الأنوار في آيات ومعجزات النبي المختار". مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 583 وهو كتاب في السيرة أيضا.

10-الإرشاد في مصالح العباد.

11-"جامع الخيرات".

12- التقاط الدرر"، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم 17551.

هذه أهم كتبه وإنجازاته التي تجمع بين اللغة والدين والتصوف والفلسفة، وهناك العديد من المؤلفات الأخرى التي لا تقل قيمة عن التي ذكرتها، وهي مجتمعة تعكس العلم الغزير للثعالبي وثقافته الموسوعية، خاصة إذا ربطناه بعصره أين كان الجفاف والضعف في جميع مجالات الحياة.

2.2 التعريف بكتاب المختار في الجوامع:

يعد كتاب (المختار في الجوامع) للثعالبي من أهم الكتب التي تناول فيها صاحبها مباحث لغوية (صوتية)، من باب تعرضه لقراءة الإمام (نافع) شرحا ودراسة، فقد أولى (الثعالبي) عناية بأحكام التجويد وعلاقة الصوت بالقراءة عند (نافع المدني) كصفات الأصوات وخصائصها وعملية نطقها...إلخ.

فقد جاء كتابة شرحا لأرجوزة (ابن بري) التي تتضمن قراءة نافع عن ورش، وعن قالون15، وفي ثنايا شرحه تناول عديد المسائل الصوتية، وفرق بين الحروف عند كل من (ورش) و(قالون) وخصص بابا لمخارج الأصوات وصفاتها16.

ويقع الكتاب في درجة مهمة ضمن مصنفات علماء الجزائر، وعن أهميته يقول (محمد المختار ولد أباه): "...أنهى الشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري كتاب المختار في الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع، والشيخ الثعالبي هو صاحب كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرءان ولعل شرحه أول ما طبع من شروح البرية، وقد بين منهجه فيه حيث إنه أراد جمع الفوائد محاذيا لنظم الدرر، لأنه تنبه أن النظم نفسه لا يحتاج إلى شرح، وإنما إلى زيادات وتقاييد تكميلية، ثم اعتمد على هذه الفوائد في شروح سابقة...وأتى بنقول عن كتب مفقودة الآن مثل إيجاز البيان للداني، وشرح الحصرية لابن مطروح، وكان يقارن بين أقوال ابن بري والشاطبي معتمدا على شرح محمد بن الحسن الفاسي المسمى باللآلئ الفريدة"17. ففضلا عن مجهودات الرجل في نقل المعارف السابقة وإثراءها في مجال الدرس اللغوي العربي وغيره، وكل ما يحيط بالقرآن الكريم من شرح وتفسير وقراءة وتجويد، ترك بصمة في مجال الدس الصوتي وهو ما سنتناوله في العنصر الآتي.

3. الدرس الصوتي في كتاب (المختار في الجوامع):

يعد الجانب الصوتي وثيق الارتباط بالجانب اللغوي، لذا يعرف (ابن جني اللغة) بقوله: "أما حدها (فإنها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"18، وهو جانب مهم في الدراسة اللغوية، من خلاله تتحدد الملامح الفنية والخصائص اللسانية للغة، ويساعد على استجلاء المعنى القابع وراء اللغة؛ لأن "الأصوات اللغوية في داخل الكلمات رموز لغوية صوتية ذات دلالات معينة"19، هذه الدلالات من شأنها إمداد الدارس بجزء من المعنى. لذا كان من المهم الانطلاق من الصوت كعنصر فاعل في التحليل اللساني.

1.3 مخارج الأصوات:

يقول (الثعالبي) في تعريفه لمخارج الأصوات: "المخارج جمع مخرج وهو الموضع الذي ينشأ منه الحرف وحروف المعجم تسعة وعشرون وهي حروف ا ب ت إلى آخرها"20 . فقط يطلق على الصوت اللغوي حرفا، وهي أصوات اللغة العربية المعروفة، والتي منها تتكون الألفاظ والعبارات. فالحرف في (القاموس المحيط) طرف الشيء21، وهو عند القدماء ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة، واستخدم لدى النحويين القدماء بمعنى (الصوت) في حديثهم عن مخارج الحروف22.

والحرف مصطلح صوتي، وهو المصطلح الأساسي عند (سيبويه)، إذ استخدمه في بحوثه اللغوية، ويرجع استخدام كلمة (الحروف) إلى (الخليل بن أحمد الفراهيدي)، في مقدمة كتاب (العين)، وقد كان يدل مصطلح (الحرف) تارة على (الصوت اللغوي) المنطوق، وتارة على (الحرف المدون) المرئي23.

2.3 مخارج الأصوات في الدرس الصوتي العربي الحديث:

تصنف الأصوات اللغوية على اعتبارين، أحدهما نطقي متمثلا في مخارج الأصوات، والآخر سمعي متحققا في صفة الصوت التي تقع في السمع. ويكاد يجمع علماء الأصوات على أن عدد مخارج الأصوات في اللغة العربية عشرة، ينتجها جهاز النطق عند الإنسان، وهي على النحو الآتي:

- الأصوات الشفوية، مخرجها الشفتين وهي: الباء والميم والواو.

- الأصوات الشفوية الأسنانية، الصوت الشفوي الأسناني الوحيد هو: الفاء.
- الأصوات الأسنانية: وهي، الذال والظاء والثاء.
- الأصوات الأسنانية اللثوية، وهي: الدال والضاد والتاء والطاء والزاي والسين والصاد.
- الأصوات اللثوية، وهي: اللام والراء والنون.
- الأصوات الغارية (الحنك الصلب)، وهي: الشين والجيم والياء.
- الأصوات الطبقية (الحنك الرخو)، وهي: الكاف والغين والخاء.
- الأصوات اللهوية، الصوت اللهوي الوحيد هو: القاف.
- الأصوات الحلقية، وهي: العين والحاء.
- الأصوات الحنجرية، الأصوات الحنجرية: وهي: الهمزة والهاء24.

ولمخارج الأصوات حسب الشيخ (عبد الرحمان الثعالبي) ثلاث مواطن:

الحلق: وهو مخرج يتكون من ثلاث أقسام (أقصى الحلق/ وسط الحلق/ أدنى الحلق)، وأقصى الحلق ينتج ثلاث أصوات هي (الهمزة والهاء والألف)، ووسط الحلق ينتج (العين والحاء) وآخر الحلق أو أدناه ينتج صوتي (الغين والخاء) والبيت الآتي يشرحها جميعا25:

فالهاء والهمزة ثم الألف من آخر الحلق جميعا تعرف

والعين من وسطه والحاء والغين من آخره والخـاء26

اللسان: ويسمى الفم، لأن أصوات اللسان هي أصوات الفم، وهو الموطن الأوسط الكائن في غور الفم، ومخارج اللسان عشرة تنتج ثمانية عشر حرفا في أربعة مواضع27.

الموضع الأول: موضع الأصوات التي مخرجها أقصى اللسان هي: (القاف، الكاف، الجيم، الياء، الشين، الضاد).

والقاف من أقصى اللسان والحنك والكاف من أسفل شيئا تدرك

والجيم والياء كذا والشين منـه ومن وسطه تكـــون

والضاد من حافته وما يلي ذلك من أضراسه من أول

الموضع الثاني: موضع الأصوات التي مخرجها اللسان الأوسط، وتنتج عنه الأصوات (اللام الراء النون)، ويذكر بالأبيات الشارحة لهذا التقسيم قائلا:

واللام من طرفــه والـــــراء والنون هكذا حكى الفـــــراء

والحق أن اللام قـد تناهـــى له من الحـافة مـن أدناهـــا

والراء أدخل إلى ظهر اللسان من مخرج النون فدونك البيان

الموضع الثالث: وهو أدنى اللسان، وينتج مجموعة الأصوات هي: (الطاء، التاء، الدال)

والطاء والتاء وحرف الدال أعني بها مهملة الأشكـــال

من طرف اللسان مع أصول عليا الثنايا فزت بالوصـــول

ومنه يخرج ومن أطرافها ما امتاز بالإعجام عن خلافها

وهي أصوات تخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا28. وأيضا يخرج من طرف اللسان الأصوات (**الصاد، الزاي، السين**).

الشفتان: ولها مخرجان لأربعة أصوات وهي (الفاء، الميم، الباء، الواو)، المخرج الأول للفاء، والثاني للأصوات الثلاثة الأخرى، فالفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، والباء والميم من بين الشفتين والواو ومخرجها من بين الشفتين، لكن الواو تخالف الباء والميم لأن الباء والميم تنطبق عليهما الشفتان وتلتقيان وعلى الواو لا تنطبقان. ويعزز تفصيله لهذا المخرج أيضا بالبيت الآتي:

والفاء من باطن سفلى الشفتين وطرف العليا مـــن الثنيتيــن

والميم من بينهـــــما والبـــاء والواو لكن ما بينهما التقاء[29]

2.3 صفات الأصوات:

أ-تصنيف الأصوات حسب صفاتها عند المحدثين:

-الأصوات المجهورة: الصوت المجهور "هو الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به"30، فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان، ويمكن للمتكلم أن يحس به لو راعى أن يسد أذنيه عند النطق بالصوت المجهور فإنّه حينئذ يسمع الرنين، الذي تنشره الذبذبات الصوتية الصدرة عن الحنجرة، ثم يتم النطق بالصوت حينئذ يحس باهتزازات الوترين الصوتيين31. والأصوات المجهورة في اللغة العربية الفصحى هي: (**الباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والعين والغين والضاد والظاء واللام والميم والنون والواو في مثل(وردة)، والياء في مثل (يد)**)، بالإضافة إلى الصوائت كلها.

-الأصوات المهموسة: الصوت المهموس "هو الصوت الذي لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به"32، فإذا كان الوتران الصوتيان منفرجين أو متباعدين فإنّ بتيار الهواء الصادر من الرئتين يمرّ خلال التجويف الحلقي دون أن يتذبذب الوتران الصوتيان، فتنتج بهذه الطريقة الأصوات المهموسة، والأصوات المهموسة في العربية الفصحى هي الصوامت الآتية، (**التاء، الثاء، الحاء، الخاء، والسين، الشين، الصاد، الطاء، الفاء، والقاف، والكاف والهاء**)33. أما الهمزة المحققة فلها حكم خاص حيث أنّ مخرجها من المزمار نفسه، فعند النطق بها تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما بحيث لا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان مضغوطا، فالهمزة إذن صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس. والأصوات المجهورة تمثّل الأغلبية من الأصوات في الكلام المنطوق، وهذا أمر طبيعي وإلا فقدت اللغة العنصر الموسيقي والرنين الخاص الذي يميز الكلام من الصمت أو التمتمة، والجهر من الهمس، وقد تبين بالاستقراء أنّ نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام

لا تزيد نسبتها عن عشرين في المائة، في حين أن ثمانين في المائة من الكلام يتكون من الأصوات المجهورة34.

ب–تصنيف الأصوات عند (عبد الرحمان الثعالبي):

يقول: "هي ست عشرة صفة الهمس والجهر والرخاوة والشدة والإطباق والانفتاح والاستعلاء والانسفال والمد واللين والهوي والصفير والتفشي والاسطالة والتكرير والانحراف والغنة ...فالهمس ضد الجهر والرخاوة هي اللين وسهولة اللسان ضد الشدة والانفتاح فرجة بين اللسان والحنك عند النطق بحروفه وضد الانطباق هو تلك الفرجة والاستعلاء هو علو اللسان بالحرف إلى جهة الحنك والانسفال ضده وهو انخفاض اللسان والهوي منسوب إلى الهواء وذلك أن الألف يخرج من هواء الفم"، ويجمع شرح أصوات الهمس في البيت الآتي:

فالهمس في عشرة منها أتى هجآء حث شخصه فسكتا"35

ويضيف قائلا: "لحروف المعجم باعتبار الصفات أقساما فتنقسم إلى همسية وإلى جهرية وبعضها رخوية وبعضها شديدة وبعضها بين الرخوة والشدة وقد يجتمع في الحرف الواحد صفتان، فيحتاج الطالب إلى معرفة ذلك قوله وفي سواها الجهر أي وفي سوى الأحرف العشرة المهموسة المذكورة الجهر والإعلان والإظهار وهو الصوت القوي الشديد وهو ضد الهمس وهذه الحروف المجهورة وهي ما عدا حروف الهمس بعضها أجهر من بعض، يعني أقوى على قدر ما فيها من الصفات وهي تسعة عشر حرفا وقد جمعها بعض الشراح في قوله (ظل قو ربض إذا غزا جند مطيع)"36؛ أي هي: (**الضاد، اللام، القاف، الواو، الراء، الباء، الظاء، الهمزة، الذال، الألف، الغين، الزاي، الجيم، النون، الدال، الميم، الطاء، الياء، العين**).

إذ تختلف صفات الأصوات السابقة حسب مخارجها، فمنها القوي ومنها الرخو سهل النطق، وهذه الصفات لها فوائد ووظائف عدة، منها الوظيفة الادغامية، يقول في هذا الشأن: "هذه الصفات التي ذكرت هي صفات الحروف وفائدتها تظهر في الإدغام والإظهار لأن بمعرفة صفات الحروف ومخارجها

يعرف ما يحسن من الإدغام وما يقبح بحسب قرب المخرج وبعده، والقول تفيد في الإدغام والإظهار أي لأن الأصل في الإدغام أن لا يدغم إلا الضعيف في القوي ليكتسب منه قوة، ولا يدغم القوي في الضعيف ليكتسب منه ضعفا، فإن أدى الأمر إلى ذلك نحو بسطت ونخلقكم وأحطت أبقوا الصفة القوية، وإن اتفقا في الصفة جاز ذلك أيضا، لأن كل واحد منهما يساوي الآخر، ومن لا يدري هذه الصفات لا يدري حقيقة الإدغام"37، والإدغام هو: "نزعة صوتين إلى التماثل أي الاتصاف بصفات مشتركة تسعل اندماج أحدهما في الآخر، ويقع ذلك خاصة في الحروف المتقاربة المخارج"38.

وهو مبحث مهم في درس الصوتيات من خلاله تتحدد المقاطع الصوتية، ويسهم في تحديد معنى الكلمات، وفي القراءات القرآنية هو دمج صوتين في صوت واحد لتيسير القراءة، وإمداد الآيات بالمعاني المتضمنة فيها مثل لفظة (غلَّق) فهي تفيد الغلق بإحكام.

كما تطرق إلى مسائل لغوية عدة في سياق حديثه عن قراءة (نافع المدني)، فذكر في باب الهمز، أن قراءة **"من السمآء"** على سبيل المثال تكون بتسهيل الأولى وتحقيق الثانية، وهو منهج (قالون) في القراءة، يقول "وهذه رواية أبي نشيط عنه، وروى عنه الحلواني تحقيق الأولى وتسهيل الثانية مثل ورش"39.

كما تناول بالشرح مباحث (الإبدال، النقل، الحذف) كالآتي:

الإبدال: هو "أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل"40، وهو أيضا: "جعل حرف مكان حرف آخر سواء أكان الحرفان صحيحين مثل اصْطَبَرَ واصْتَبَرَ، أم معتلين مثل قال وباع أصلها قَوَلَ وبَيَعَ أو مختلفين مثل: دينار وقيراط، أصلها دِنَّار قِرَّاط"41، فهو جعل حرف مكان حرف آخر لتسهيل النطق. ويذكره (الثعالبي) في نحو: **"هؤلاء آلهة"**، حيث تبدل الهمزة في الكلمة الثانية ياء.

النقل: وهو الذي يكون بنقل حركة الحرف المعتل إلى الحرف الصحيح قبله؛ نحو: (يَقُوْلُ)، أصله (يَقْوُلُ)42. ومثال (الثعالبي) لفظة: **"الْأَرْض"** بحيث نقلت حركة الهمزة فيها على الساكن قبلها.

الحذف: ويكون بحذف حرف العلة للتخفيف أو التخلص من التقاء الساكنين، مثل: (يَعِدُ) مضارع (وَعَدَ)43. فحذفت فاء الفعل تخفيفا44، وفي كتاب (المختار في الجوامع) يضرب (الثعالبي) لذلك مثلا بلفظة:"**جآء**" يقول أن في القراءة تسقط الهمزة الأولى من الكلمة وتحقق الثانية.

هكذا نكون قد تطرقنا إلى بعض القضايا والمباحث الصوتية في كتاب (المختار في الجوامع)، وهي جزء من مباحث عدة لا يسع المقام لذكرها كلها هنا، نقل فيها (الثعالبي) معرفته في مجال اللغة والصوتيات العربية، متأثرا في ذلك بالبحث اللغوي العربي وخبرة علمائه.

4.خاتمة:

ختاما يمكن القول إن كتاب (المختار في الجوامع) للعلامة (عبد الرحمان الثعالبي) يتضمن العديد من المباحث الصوتية، التي تناولها بالشرح والمناقشة والتعليق وإبداء الرأي في سياق حديثه عن قراءة (نافع المدني) من بينها مخارج الأصوات وصفاتها، والإبدال والقلب والحذف... وهي مباحث من صميم الدرس الصوتي، وتعد هذه المجهودات للثعالبي إنجازا متميزا، يذكر مدى تعلق الرجل بالبحث اللغوي العربي خاصة كل ما له صله بالقرآن الكريم وتلاوته، والدين الإسلامي الذي سعى إلى خدمته زاهدا فيه وواعظا لتعاليمه ومرشدا لقيمه، من خلال كتاب (المختار في الجوامع) وكتب أخرى كثيرة. لذا نقف في نهاية هذا المقال على جملة من التوصيات كالآتي:

- يعد (الثعالبي) من علماء الجزائر الموسوعيين، وله العديد من الكتب والمصنفات الغنية بالمادة العلمية في مجالات شتى، ومنها علوم اللغة، والالتفات إلى إنتاجه الغزير في هذا المجال والمجالات الأخرى بالدرس والشرح والإضاءة يعد ضرورة وإضافة نوعية، ومكسبا يثري نشاط وجهود علماء الجزائر، ويبرز (عبد الرحمان الثعالبي) في جوانب جديدة لم يعرف بها من قبل، لذا توصي هذه الورقة البحثية بتسليط الضوء عليها وكشف ما تكتنزه من علوم ومعارف تفيد الباحث في نشاطاته البحثية المختلفة.
- ويعد كتاب (المختار في الجوامع) من الكتب القيمة التي تتناول مباحث وقضايا صوتية عكف (الثعالبي) على جمعها من مصنفات القدماء، وتقديمها وشرحها والإضافة عليها في سياق حديثة عن قراءة القرآن الكريم وتجويده، ولم نتمكن هنا من إحصائها جميعا وفي هذا

دعوة للرجوع إلى الكتاب وبحث ما يتضمنه من مسائل لغوية وصوتية وشرحها وتقديمها للقارئ للإفادة منها.

- وفي الأخير توصي هذه الورقة البحثية بعقد ندوات وملتقيات تعرف بالعلامة (الشيخ عبد الرحمان الثعالبي) في مجال البحث اللغوي والصوتي، وتعرف بمجهوداته القيمة في خدمة اللغة العربية وإضاءة جوانبها المتعددة، وخدمة الأمة الجزائرية والعربية الإسلامية جميعا.

قائمة المراجع:

1 عبد القادر، نور الدين، (1965م)، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، منشورات كلية الآداب، الجزائر، ص 171/170.

2 سعد الله، أبو القاسم، (2011م)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ج01، ص201.

3 Klein: Op. Cit, ton2, p155.

4 الجيلالي، عبد الرحمان، (2014م)، تاريخ الجزائر العام، -من 539هـ/1145م إلى 962هـ/1554م-، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج02، ص 360.

5 المرجع نفسه، ص 362 - 365.

6 بوعياد، محمود، (1982م)، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 49، وبونار، رابح، (1981م)، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للطبع والتوزيع، الجزائر، ط02، ص335/334. *335.*

7 H.Klein , 2003, Feuillets d'El Djazair, comité du vieil Alger fonder en 1910 par H.Klein, tome 2, Editions du Tell, Blida, p156.

7 ابن خلدون، عبد الرحمان، (*1991* م)، المقدمة، تحقيق: حجر محامي، دار المكتبة للهلال، بيروت، ص329.

8 سعد الله، أبو القاسم، (2011م)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ج01، ص201.

9 المرجع نفسه، ص 346 -349.

10 سعد الله، أبو القاسم، (1998م)، تاريخ الجزائر الثقافي، –1500 –1830 –، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ص482/481.

11 الجيلالي، عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، –من 539هـ/1145م إلى 962هـ/1554م–، ج02، ص 363.

12 سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص91.

13 سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء، ج01، ص 203. و*Klein: Op.Cit, tome 2, p156* .

14 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص 69، و92 ، وقسوم، عبد الرزاق، (1978م)، عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص *143/144* ، والجيلالي، عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج02، ص 363.

15 شلبي، هند، (1983)، القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العربية للكتاب، ط1، ص226.

16 ولد أباه، محمد المختار، (2001م)، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ص461.

17 المرجع نفسه: ص474.

18 ابن جني، أبو الفتح عثمان، (2008م)، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، ج1، ص87.

19 حسان، تمام، (2001م)، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، مصر، ط1، ص116.

20 الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمان بن مخلوف، (1324)، المختار في الجوامع، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ص151.

21 القاموس المحيط: مادة (حرف).

22 عكاشة، محمود، (2005م)، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، ص105.

23 حجازي، محمود فهمي، (دت)، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، ص45.

24 بشر، كمال، علم الأصوات، (2000م)، دار غريب، مصر، دط، ص180–189.

25 الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمان بن مخلوف، ص151–152.

26 المصدر نفسه، ص152.

27 المصدر نفسه، ص151–152.

28 المصدر نفسه، ص154.

29 المصدر نفسه، 156

30 بشر، كمال، علم الأصوات، ص184.

31 مدكور، عاطف، (1987م)، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، ص117.

32 بشر، كمال، علم الأصوات، ص184.

33 المرجع نفسه: ص184.

34 أنيس، إبراهيم، (دت)، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، دط، ص23. وبشر، كمال، علم الأصوات، ص185.

35 أبو زيد عبد الرحمان بن مخلوف، الثعالبي الجزائري، ص 157/156.

*36*المصدر نفسه، ص 157.

37 المصدر نفسه، ص136.

38 البكوش، الطيب، (1992م)، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3، ص67.

39 المصدر السابق، ص121.

40 الجرجاني، الشريف، التعريفات (دت)، المطبعة الخيرية، مصر، ص02.

*41*الحمد، محمد بن إبراهيم، (2005م)، فقه اللغة، دار ابن خزيمة، ط1، ص237.

42 عبد فارح، عبد الشكور معلم، الصرف الميسر –تقريب لامية الأفعال لابن مالك–، (2019)، دار العلم للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط1، ص68. وحسن، عباس، النحو الوافي، (دت)، دار المعارف، مصر، ط3، ج3، ص794.

43 المرجع السابق، ص68.

44 الراجحي، عبده، التطبيق الصرفي، (1973)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، ص183-185.